الفعلة حفرهم تحت نظارة حضرة المدير الذي يعرف لهـذه الآثار قدرها جازاهُ الله خيرًا وابقاهُ لخدمة العلم والوطن

الركوسيَّة

لحضرة الكاتب الفاضل الاب انستاس الكرملي

قد تفضَّل حضرة الاب لامنس اليسوعي فزاد بعض تفاصيل على ما استلفتنا اليهِ افكار القرَّاء من امر الركوسيَّة وهذا ملخَّص ما جاء في افاداتهِ المتنوِّعة:

١ً بين لفظتي الركوسيَّة والقورسيَّة تباين لغوي

٢ً ان الركوسيَّة شيعة نصرانيَّة غير مستقيمة الايمان وهو امرٌ لا ريب فيهِ يشهد على صحتهِ قول الزبيدي في التاج

٣ً في دينهم شيءٌ من اضاليل الصابئة وهذا لا يصحّ في نصارى بلاد قورس المستقيمي الراي

٤ً ان الصابئين كانوا يعرفون ايضًا باسم «كماريون» وهو لفظ غريب غلب عليهِ التصحيف. فقيل ان الصواب «كتباريون» وقيل «كسكريون» وهو الراي المرجح نسبة الى معاملة كسكر التي تدخل فيها واسط. وبعد الفحص وجد ان التشابه بين الكسكريين والركوسيين بعيد فهؤلاء ليسوا باولئك

٥ً ان الكاتب الفاضل يُرجّح ان الركوسيَّة فرقة من المرقيونيين وهذه الفرقة هي المعروفة باسم المرقوسيين ولا يبعد من ان العرب صحَّفوا المرقوسيَّة بالركوسيَّة

٦ً قال حضرة المنتقد ان مقالته «على كلِّ حالٍ... تُبطل رأيًا لا يحسبهُ صحيحًا اعني القول بان الركوسيَّة هم نصارى القورسيَّة»

فلننظر الآن في اقوال الكاتب الكريم ولنعرضها على محكّ الانتقاد لنتحقَّق اذا كانت آراؤهُ هذه صائبة. فاجيب على الترتيب السابق ذكرهُ قائلًا:

١ً ليس بين لفظتَي الركوسيَّة والكورسيَّة او القورسيَّة تبايُن لغوي يُذكر بل هو من قبيل التبايُن المعروف عندهم بالقلب لا غير. وهو شائع في لغتهم ولهُ امثلة كثيرة وبدون ان نبحث عن الفاظ جمَّة وقع فيها القلب لنأخذنَّ مادَّتي « ك ر س » و « ر ك س » ولننظرنَّ اذا لم يقع فيها شيء من القلب — والحال ممَّا نراهُ فيهما معاً: « الرِكْس » وهو شبيه المعنى بالرجيع. ومثلهُ « الكِرْس » وهو البعر والبول المتلبّد بعضهُ على بعض. والمعنى واحد تقريباً. ومن ذلك ايضاً « الرِكْس » من الناس وهو الكثير وقيل الجماعة من الناس. ويقرب من معناهُ « الكِرْس » وهو ابيات من الناس مجتمعة اهـ. وعليهِ فلا نرى تبايناً بين الركوسيَّة والكورسيَّة

٢ً ان حضرة الاب قد صرَّح بان الركوسيَّة شيعة غير مستقيمة الراي ثم بنى على ذلك ما بنى استناداً على قول صاحب التاج ونصُّهُ: « انهم قوم لهم دين بين النصارى والصابئين ». واماَّ نحن فقد استندنا الى قول ابن الاعرابيّ القائل انَّ الركوسيَّة من نعت النصارى وقد اطلق كلامهُ هذا ولم يحصرهُ في فرقةٍ منهم فاستنتجنا انَّهم من اهل الدين القويم ولم نعتدّ بكلام السيد المرتضى او المجد في قولهما: « دين بين النصارى والصابئين »: اولاً لان ذلك كلام مجمل لا يتحصَّل منهُ امرٌ مقرَّر — ثانياً لان العرب في تكلُّمهم عن فرق النصارى لم يُحسنوا التميز بين ما يتقاسم هذه الفرق من الآراء والاختلافات المذهبيَّة لانهم غير مكلَّفين بذلك... الخ. ولنا شواهد على هذا تملأُ عدداً من المشرق. ولعلَّك تقول ولِمَ اعتمدتَ اذن على كلام ابن الاعرابي لتكتب ما كتبت. قُل لهُ: انما فعلنا ذلك لما كان بيدنا من شاهد اللغة فازددنا ثقةً بما صرَّحنا بهِ. — ثالثاً لان الصابئة جاء في كلام العرب بمعانٍ مختلفة فان فريقاً منهم جعلوهم من عبدة الكواكب (الفيوميّ والبيضاويّ وغيرهما) وجماعةً حسبتهم بين عداد عبدة الملائكة (الكشاف ١: ٦٠) وقوماً اعتبروهم فرقة من النصارى (المصباح والكشاف ايضاً اذ يقول في ٢: ٥٨ عن الصابئين « انَّهم نوع منهم » اي النصارى) واحلَّهم المسعوديّ وغيره محلّ الفلاسفة (مروج الذهب المطبوع على حاشية نفح الطيب ٢: ١٥٠) وقال ابو الفداء وغيره ان دين الصابئين هو دين السريان (١: ٨٦) وصفَ الآمديُّ فرقةً من الصابئة في مصفّ المسلمين. وجعلهم بقيَّة كتَّاب العرب من

عبدة الاوثان فاي معنى يُريد ان يُعيّن حضرة الاب للفظة « صابئين » حينما يقول المجد ان الركوسية هم « قوم لهم دين بين النصارى والصابئين ». فانت ترى انهُ لا يحقّ لهُ ان يتمسَّك بمعنى دون ان يتمسَّك بمعنى آخر . واماً تخصيصهُ اياها بمعنى « المندائيَّة » فهو محض تحكُّم غير مبني على اساسٍ وطيد

٣ً لا نُسلّم كل التسليم بانهُ كان في الركوسيَّة اضاليل كاضاليل الصابئة المعروفين بالمندائيَّة لاسباب تطَّلع عليها في ما بعد

٤ً ان ترجيحهُ لكلمة « كسكريين » على كلمة « كتباريين » او « كمّاريين » لفرقة من الصابئة مُتبعاً في ذلك راي الافرنج لا نوافقهُ عليها ونعدُّهُ من جملة أوهامهم. بل الرواية الصحيحة في ذلك هي « كتباريون » او « قطباريّون » على طريق التفخيم كما رواها ابن خلدون (راجع المشرق ٤ : ٤٠٤) وكتبار هذا هو عندهم احد وُلد آرْفَكْشاد واسمهُ عندهم ايضاً قينان وهو غير قينان بن آنوش (١ . الّا انَّ الكتاب الكريم لم يذكر جميع اولاد ارفكشاد فيحتمل ان يكون واحد منهم تسمَّى بهذا الاسم ولم تصرّح بهِ التوراة

٥ً ان الركوسيَّة لم تكن فرقةً من المرقيونيين لان هؤلاء لم يدخلوا بلاد العرب (٢ واماً الركوسيَّة فكانت معروفة عندهم واليك الدليل . قال في اللسان في مادَّة « ركس » انهُ قيل لعدي بن حاتم الطائي لمَّا اراد الاسلام : « انت من اهل دين يقال لهُ الركوسيَّة ». والحال اننا نعلم ان عديًّا هذا بعد ان كان وثنيًّا يعبد الاصنام

---

١) هذه الملاحظة اظنّها صوابًا ٥ . ل

٢) لعلَّ حضرة الاب انستاس مبالغ في قولهِ هذا . لانَّنا نعلم ان اكثر الشيع المرتبطة باللادريين بعض الارتباط كالابيونيين والناصريين والكسائيين والمخالفين لتوليَة العذراء (Antidicomarianites) والمغالين في عبادتها (Collyridiens) تكاثروا في بلاد العرب التي كان يحكم فيها الرومان كحوران والبلاد الواقعة ما وراء الاردن وبحيرة لوط الى بحر القلزم . اماَّ المرقيونيُّون فان لنا شاهدًا على وجودهم في تلك البلاد وهي الكتابة التي ابتها وادنفتون في مجموعهِ (مجلة العدد ٢٥٥٨) حيث جاء ذكر جامع للمرقيونيين في دير علّي سنة ٣١٨ للمسيح . ثم ان النصوص التي اوردناها في مقالتنا تبين ان العرب كانوا يعرفون المرقيونيين

٥ . ل

تنصَّر ثم ادرك الاسلام فاسلم هو واختهُ سفانة . ففي قولهِ ان عديًّا من اهل دين يُقال لهُ الركوسيَّة اشارة الى مذهبهِ في نصرانيتهِ (١ . والحال ان الطائيين كانوا قد انتحلوا اليعقوبيَّة فالركوسيَّة اذن فرقة منهـا . — وكما ان اهل كورس وقعوا في اليعقوبيَّة (٢ بعد وفاة ثيودوريطوس بزمان اصبحت الركوسيَّة بمعنى اليعقوبيَّة الخاصَّة بكورس اي المونوثليـة . ومن هذه النتيجة نستلُّ امرًا تاريخيًّا مهمًّا وهو ان الذين نصَّروا الطائيين كانوا من نصارى كورُس الموحِّدي المشيئة . وان لم يُسلِّم حضرة المنتقد الفاضل بمونوثليَّة اهل كورس بعد وفاة ثيودوريطس بل باستقامة دينهم فحينئذٍ نقول : ان الطائيين كانوا من المستقيمي الدين وهذا الامر غير بعيد . اولًا لان العرب كانت على ثلاث فرق من النصرانيَّة وهي : الكاثوليكيَّة (٣ واليعقوبيَّة والنسطوريَّة . ثانيًا لان كلمـة ركوسيَّة كانت معروفة في أيَّام عديّ بن حاتم اي في اوائل القرن السابع للميلاد . وحينئذٍ لم يكن بين وفاة ثيودوريطوس وانتشار اللفظة الَّا بعض القرن ولعلَّ استقامة الدين كانت بعد سائدة في الكورسيَّة . فلا بدع من ان يكون الطائيُّون من القَيِّمي الدين

الَّا انَّنا مع ذلك لا نقول باستقامة مذهب بني طيّ في الجاهليَّة بل بارَدهِ واعوجاجهِ ومونوثوليتهِ . والذي يدفعنا الى هذا الراي انَّ امرأة حاتم الطائيّ في وقت الجاهليَّة كانت نصرانيَّة ومع ذلك فقد طلَّقت زوجها على الطريقة المعروفة عند الجاهليَّة في ذلك العهد (راجع الاغاني ١٦ : ١٠٦) فلو كانت نصرانيَّة مستقيمـة الرأي لما فعلت ذلك . اللهمَّ الَّا ان يُقـال ان نصارى العرب يومئذٍ لم يعرفوا ديانتهم الَّا معرفة من يلتف العلم نتفًا بدون استقصاء فتكون ماويَّة امرأة حاتم فعلت ما فعلت عن جهلٍ لا عن درايةٍ

---

١) لا نرى هذه النتيجة لازمة وكذلك لا تلزم الحجج الواردة بعـدها حيث اراد حضرة الكاتب ان يبيّن ان الركوسية قوم من اليعاقبة . ه . ل

٢) غاية ما نعلم عن يعاقبة قورس ان هذه المدينة كانت من كراسيّهم ولكن ليس ذلك داعيًا كافيًا للقول بان اهل المدينة كلّها كانوا يعاقبة . بل الارجح ان الامر على خلاف ذلك ه . ل

٣) مما يتّفق عليهِ العلماء في يومنا ان نصارى العرب الَّا القليل منهم كانوا يتمذهبون باحد مذهبي اليعاقبة او النساطرة . وليس لدينا شاهد على انَّ قبيلـةً باجمعها كانت كاثوليكية (راجع ما كتبناهُ في هذا الصدد في كتابنا عن شاعر بني اميَّة ص ٢٦ الخ) حيث اتَّسعنا في هذا المبحث ه . ل

وان اصرَّ حضرة الاب الفاضل في رفض نسبة الركوسيَّة الى كورُس البلاد الشهيرة فامكننا ان ننسبها الى واحدٍ من مشاهير موحّدي المشيئة يعني الى كورُس بطرك الاسكندريَّة وكان اسمهُ قد فشا في جنوبي بلاد الشام وشمال غربيّ بلاد العرب في عهد ظهور راية الاسلام فلا يبعد من ان تكون الركوسيَّة منسوبة الى لفظة « كورس »(١ على كل حالٍ ويبقى ان اصحاب هذا المذهب كانوا من مُوحّدي المشيئة زائدين على ما تقدَّم وقوع القلب اللُغويّ في الركوسيَّة وناكرين كل النكير كونهم من المرقيونيين

٦ً مما تقدَّم ترى ان قولنا الاوّل (الذي نعدل عنهُ اليوم بفضل ما كتبهُ حضرة الاب لامنس) كان يقرب من قولنا هذا الثاني نتمسَّك بهِ الآن. واماَّ انهُ كيف ساغ لبعض العرب ان يقولوا ان الركوسيَّة دين بين النصارى والصابئين فلعلَّ السبب هو لان بعض اليعاقبة وهم من موحدي الطبيعة يُشبهون المندائيَّة بعض الشبه في اصوامهم ومآكلهم وايضاً في بعض اعتقادهم بالمسيح اذ انهم يقولون ان جسد المسيح في ذاتهِ كان غير فاسدٍ وغير متألم. والمندائيَّة تقول كذلك الَّا انها تزيد على ذلك ان المسيح من الارواح النجسة تعالى الله عن ذلك

(الخاتمة) هذا ما اردنا تبيانهُ بخصوص الركوسيَّة ولعلَّ المسألة زادت وضوحاً بفضل النصّ الذي اوردناهُ نقلاً عن لسان العرب (٢ والله الموفق الى سبيل الصواب. واليهِ المرجع في الاول وفي المآب

---

١) هذا راي يصعب تأييدهُ بالبرهان. لانَّ ذلك يستلزم ان يثبت حضرة الكاتب. اولاً ان قورس هذا انشأ شيعة منفردة. ثانياً انهُ زاد على آراء ذوي المشيئة الواحد ما اوجب نسبتها اليهِ. وثالثاً ان بدعة ذوي المشيئة الواحدة شاعت بين العرب الى غير ذلك مما ينقض هذا الرأي ه.ل

٢) وهو ايضاً رأينا ويسرُّنا كون حضرة الكاتب الضليع انتهز فرصة انتقادنا لايراد هذا النصّ المهمّ ه.ل